

ردود الفعل على "الدفاع عن القرآن" في الشارع الشيعي

31-07-2023

الكتاب

د. ياسين طه

ملخص : وما بين ردود الأفعال الشيعية على الحادثة حرق نسخة من القرآن في السويد ، كان الصدر الأكثر إصرارًا عندما هدد بأنه "إذا لم تتخذ الحكومة موقفًا ، فسوف يتصرف بطريقته الخاصة ، بالفعل لاحقاً داهم أنصارمقتدى الصدر على السفارة السويدية (20 يوليو / تموز 2023) ما أدى إلى ولادة أزمة أخرى للدبلوماسية العراقية ، بينما كانت ردود الفعل في إيران والمملكة العربية السعودية ، أكبر قطبين إسلاميين في المنطقة ، أكثر رسمية ودبلوماسية. و صدر بيان إدانة عن وزارة الخارجية في السعودية ، وكذلك في إيران ، واستدعى البلدان السفير السويدي للاحتجاج. ولا يوجد في أي بلد إسلامي وعربي آخر تدهور الوضع فيه بقدر تدهور الوضع في العراق. جزء من السبب في ذلك ، بالإضافة إلى مضايقة الصدر وأنصاره ، قد يكون راجعاً إلى حقيقة أن حارق المصحف (سلوان موميكا) من أصل عراقي و نفس الوقت أساء إلى العلم العراقي وصورة مقتدى الصدر أيضاً .

أثار حرق نسخة من القرآن على يد لاجئ عراقي ردود فعل متباينة من باكستان إلى المغرب العربي وحول العالم ، ولكن في العراق ، وخاصة على المستوى الشيعي ، تحمل ردود الفعل القوية تفسيرات مختلفة. ويرجع ذلك إلى طبيعتها وهي مداخلات للسفارات وانتهاكات للقانون الدولي بشأن حماية المبعوثين الدبلوماسيين بموجب اتفاقية فيينا. كما تضافرت ردود الفعل هذه مع مشاكل داخلية سابقة ، أبرزها الضجة الأخيرة بين التيار الصدري وحزب الدعوة الإسلامي الذي يزعمه المالكي بشأن استهداف آية الله محمد الصدر ، مرجع التيار الصدري الراحل وحركة العصائب و الأئمة الروحي للكثير من ساسة الشيعة .

وما بين ردود الأفعال الشيعية على الحادثة حرق نسخة من القرآن في السويد ، كان الصدر الأكثر إصراراً عندما هدد بأنه "إذا لم تتخذ الحكومة موقفاً ، فسوف يتصرف بطريقته الخاصة ، بالفعل لاحقاً داهم أنصار مقتدى الصدر على السفارة السويدية (20 يوليو / تموز 2023) ما أدى إلى ولادة أزمة أخرى للدبلوماسية العراقية ، بينما كانت ردود الفعل في إيران والمملكة العربية السعودية ، أكبر قطبين إسلاميين في المنطقة ، أكثر رسمية ودبلوماسية. وصدر بيان إدانة عن وزارة الخارجية في السعودية ، وكذلك في إيران ، واستدعى البلدان السفير السويدي للاحتجاج. ولا يوجد في أي بلد إسلامي وعربي آخر تدهور الوضع فيه بقدر تدهور الوضع في العراق. جزء من السبب في ذلك ، بالإضافة إلى مضايقة الصدر وأنصاره ، قد يكون راجعاً إلى حقيقة أن حارق المصحف (سلوان موميكا) من أصل عراقي و نفس الوقت أساء إلى العلم العراقي بصورة مقتدى الصدر أيضاً .

بعد أن سحبت السويد سفيرها من بغداد وسحب العراق سفيرها من ستوكهولم ، اتهم الصدر خصومه بالتزام الصمت و في حين قام بكل ما في وسعه في "ثورة القرآن". في حين الأطار التنسيقي نسق الاحتجاجات لنفس الغرض ودعموا الإجراءات التي أتبعها رئيس الوزراء ضد السويد ، لكن ما يضيّق الأطار التنسيقي من تحرك مثل الصدر هو وجودهم في السلطة لذلك لا يمكنهم لا يمكنهم أن يتصرفوا بصراحة مثل الصدر ضد السويد والمغرب. وهذه إحدى الزوايا التي استغلها الصدر لكسر الصمت من جهة ومضايقة منافسيه الشيعة الحاكمين من جهة أخرى أجبرهم هذا على متابعة ردود أفعاله.

لا يمكن التشكيك في صدق الصدر في الدفاع عن القرآن أو العلم العراقي، الأول بسبب قدسية إسلامية للقرآن كبيرة جداً ولا يمكن استسهال مع أي حركة تستهدف القرآن و مقتدى الصدر مرجع ديني ما يتوجب عليه اتخاذ موقف حول هكذا حوادث ، والثاني (العلم العراق) رمز للوطنية العراقية ولطالما كان شعاراً لمقتدى الصدر ، ولكن بالمقارنة مع مواقف آية الله السيستاني، المرجع الشيعي الأعلى وقائد الثورة الإيرانية، فإن تصرفات الصدر أشد بكثير. في رسالة إلى أنطونيو جوتيريش ، أذان السيستاني الحادث السويدي ودعا الأمم المتحدة إلى منع تكرار وتغيير القوانين التي تسمح بحرق القرآن و تهدد التعايش ، في جانب الآخر رغم أدانته طالب آية الله خامنئي بتسليم المسؤولين عن حرق المصحف الشريف إلى الدول الإسلامية.

على المستوى الشيعي ، فقط الصدر وحسن نصر الله في لبنان استغلوا الحادث السويدي لمحاربة الغرب ومهاجمة قيمهم الجديدة وطالبوا بطرد السفير السويدي من الدول الإسلامية ، بينما على المستوى السني لم يكن هناك موقف شديد . في سنوات السابقة على و ساد رأي بين المسلمين في الشتات في أوروبا يدعو إلى تجاهل أولئك الذين يسعون إلى الشهرة من خلال مهاجمة الأماكن المقدسة الدينية.

بالعودة إلى العراق ، يُعتقد الكثر بأن الصدر يجعل القرآن بداية عودته إلى الحياة السياسية بعد أن قرر سحب نائبه البالغ عددهم 73 نائباً في منتصف يونيو 2022 في اللحظة غاضبة و التزم بالصمت لأشهر في النجف ، إذا كانت هذه القراءات والإشارات على هذا النحو ، فإن انتخابات محلية (مجالس المحافظات) ساخنة وتنافسية تنتظر العراق أواخر هذا العام ، ويعتقد بعض الدلائل والتفسيرات أنها ستؤخر العملية الانتخابية لأن مشاركة الصدرين ورئيس الوزراء ، يتطلب الوقت والاستعداد.

والآن بعد أن أصبح الصدر معزولاً ، يعمل إطار التنسيق الشيعي على ترسيخ أركان قوته ، والصدريون ينتظرون على مستوى الجماهير والكوادر، كما أدركوا مرة أخرى أن التهرب من السلطة والعملية السياسية يمكن أن يضعفهم. ولا يمكن إنهاء هذه الركود السياسي إلا بقرار زعيم الحركة مقتدى الصدر ، وتنتزع من ردود أفعاله القوية على القرآن ودفاعه عن إرث والده وموقفه الديني. من ناحية ، هذه بداية عودة إلى النشاط ، ومن ناحية أخرى ، جزء من خطة لإرهاق ومضايقة منافسيه الملتزمين بالسلطة التي لا يمكن أن يكون لها خطاب ناري و "ثوري" ضد السويد والدنمارك والتصرفات الأمريكية في الوقت الذي يحارب الطرفين حول أيهما "المقاومة" الشيعية الحقيقية.